University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

عوامل قيام الحضارات بين الأحادية والتعددية

د. السعيدي أمبارك عبدالكريم.

(محاضر بقسم الفلسفة - كلية الاداب - جامعة بنغازي – ليبيا)

عوامل قيام الحضارات بين الأحادية والتعددية

ملخص البحث:

لكل أمر أسبابه ، وكذلك الحال في مسيرة الحضارات ، هناك عوامل لقيامها ونهيارها ، وكل الفلاسفة يقرون بذلك إلا أن بعضهم ذهب إلى القول باحدية العامل ، ويذهب البعض الآخر إلى وجود عوامل عدة تعمل في صورة تفاعلية موحدة ، يكون فيها للعوامل الروحية الدور الأبرز بوصفها القوى الدافعة للإنسان .

المقدمة :

البحث في العوامل أو الأسس التي تقوم عليها الحضارات يعني بطبيعة الحال ، معرفة ماضي الإنسان بما فيه من تجارب وظروف عايشها ، وأفعال مارسها ، من أجل الاستفادة منها وبمعنى أخر ، معرفة الماضي من أجل الحاضر والمستقبل، فالحضارة هي غاية أي اجتماع بشري مستقر ، انهيار حضارة أي مجتمع هو سقوط لوجودها المتميز ، ومسخ أو دوبان لشخصيتها.

فأي إجتماع بشري بلا حضارة لها صفة التطور،سيكون اجتماعاً تغلب عليه صفة البدائية ، وتسوده شريعة الغاب ، من هنا جاء قول(بن نبي) [1]" إنني أو من بالحضارة على أنها حماية للإنسان ، لأنها تضع حاجزا بينه وبين همجيته".

ولهذا فإنه من الضروري معرفة الأسباب ، أو العوامل التي بموجبها يتشكل بناء حضاري شامل . إلا أن البحث في الأسباب يستدعي عدم التوقف عند الصور الظاهرية للأسباب.

فكل حدث له سبب ظاهري ، وأخر خفي، أكثر دقة ووجاهة فإذا كانت الحرب العالمية الأولي سببها الظاهري حادثة الفيلة في سيراجيفو . والحرب العالمية الثانية تعود إلى غزو النازين بولنده ، فإن الأسباب الكامنة وراء الحربين تعود للمنافسة بين القوى العالمية ، والإطماع الاقتصادية. والسعي للهيمنة على المواقع ذات الأهمية الجغرافية في العالم. إذ أن حالة العداء كانت متوفرة وليست في حاجة إلى مبررات. فالتاريخ الحضاري كما يصفه ابن خالدون[2]" في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولي ... وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ، ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق " فالنفاد إلى بواطن الوقائع هو ما يجدد الدوافع الكافية وراء الأحداث فـ " طعن بروتس يوليوس قيصر أو دخل نابليون مصر عام 1798 فضلاً عن أن مثل هاتين الواقعتين لا تشكل تاريخاً وإنما مادة التاريخ ذلك أن التاريخ في التعرف على الدوافع الداخلية التي كانت تدور في عقل كل من بروتس وبابليون حين طعن الأول قيصر وحين اختار الثاني مصر كميدان للصراع مع انجلترا"[3] وأن كان هذا مثال قد يطاله الاعتراض ويقال بأنه يمثل حالة واحدة وهي الحرب ولاياخد في اعتباره حالة البناء ، كما قد يتبادر لأذهان البعض إلا أنه يعمل في طياته البناء والدمار فالأسباب أو العوامل السالفة الذكر تعمل في اتجاهين متعاكسين ، فالسعي من أجل السيطرة على الغير استناداً إلى النعرة القومية سواء من أجل أهداف ثقافية أو اقتصادية هي في حد ذاتها بناء للقوي ودمار للضعيف .

أن هذا ليبعث على التساؤل عن مدى سيطرة ركيزة القوة في تحريك دواليب التاريخ ؟

النظرة الأحادية للعوامل :

إذا كانت القاعدة الأساسية في القانون الروماني تري " إن القوة تنشئ الحق وتحميه. وإذا كانت الفلسفات القديمة مثل فلسفة الجمهورية لأفلاطون ترى أن لا مكان للعجزة في المجتمع ،وتدعو للتخلص منهم ، والفلسفات الحديثة مثل الدرونية ترى أن البقاء للأقوي. مع بعض النظر عن تقبل اوستهجان المجتمعات لها أي مفهوم القوة ، مازل مسيطر بشكل أو بأخر بالرغم من أن الكل يسعى للسلام .ولكن حسب رؤيته الخاصة له ، أو بمعنى بما لا يتعارض مع مصالحة .

وإذا كانت رؤية القوى على هذا النحو ، فأن المجتمعات العاجزة قد تبرر ضعفها بأن إلا قدر أو المصادفة قد اعترضت سبيلها ، وكانت سبب ضعفها وفشلها في مضاهات المجتمعات الأخرى في سرعة تطورها .ولعل هذا ما يفسر حيرة (فوكوياما) إذ قال[4] " كل هذه التطورات شديدة الاختلاف في التاريخ الرهيب للنصف الأول من القرن حين بزغت حكومات يمينية ويسارية عديدة توحي بالحاجة إلى إعادة النظر في مسألة ما إذا كان هناك خيط خفي يربط بين هذه التطورات ، أم أنها مصادفات أتسمت جميعها بأنها أمثله لحسن الحظ "، ويمكن إرجاع الاستناد إلى الصدفة في التاريخ إلى أنها تشير إلى أن تلك الفترة هي فترة الاضطربات والضعف ، حيث يصعب ضبط الأمور في تلك المجتمعات و يعجز المفكرين عن استيعاب الأحداث التي تبدو لا منطقية وغير متجانسة ، فعندما نجد (شبنغلر) يري أن اللامتوقع هو الذي يحكم التاريخ .ونتسأل من الظروف التي عاش فيها .إن تلك الفترة التي عاش فيها هي فترة الحرب العالمية الأولي وما بعدها ، وهذه الفترة يسودها اللاثبات وعدم الاستقرار ، ولذلك ليس من الغريب أن يري إن " الإدارة البشرية لا تقوى على قلب مجرى الأشياء الحتمي" [5] أن هذا يعني أن هناك عوامل غير الصدفة لبعت ذلك الدور في تحديد الوضع الحضاري للمجتمعات، ولازالت تلعب نفس الدور **فما هي تلك القوة التي تصنع الحضارة** ؟.هل هي مجموعة من القوي أم قوة واحدة .

إذا نظرنا في أراء الفلاسفة والمفكرين نجدها تختلف من حيث تحديدها. فمنهم من ينظر إلى الأمر على أنه يرجع إلى عوامل عدة ومنهم من ينظر إليه على أنه يرجع إلى عامل واحد. ومجمل هذه العوامل يتلخص في الأتي : إما في الظروف المحيطة من بيئة أو أحوال اقتصادية، ومنهم ما يرجع الأمر إلى طبيعة الجنس ، ومنهم من يرجعه إلى أمور تخص جوهر الإنسان من الإرادة والإصرار على التحدي أو إلى قوة المجتمع وروحه القومية ، أو دور الإبطال أو إلى القيم الاجتماعية التي توفر وضع مناسب لبناء حضارة متينة ، بالإضافة إلى ذلك هناك من يري أن الأمر يرجع إلى عاملين أواكثر.

وسنتناول هذه الآراء لنرى مدى ما تحمله من الصحة وستبدأ بأول هذه الركائز التي تمثل جزء من العوامل الخارجة عن الإرادة الإنسانية.

أولا: عامل الجنس:

يري البعض إن الله أو الطبيعة قد وهبت لجنس معين قدرة ذهنية، وجسمانية، فاقت غيره من الأجناس ، وهذه القدرة أهلته لبناء حضارة وصناعة تاريخ متميز عن غيره من المجتمعات التي هي أقل منه نوعاً .وبالتالي ليس في مقدورها أن تظاهيه في صناعة الحضارة، وهذا يعني إن القوة تكمن في الجنس ، وهي حالة تتسم بالخلفة بالإضافة إلى أنها تستند إلى أحادية في القوة .

ويستند هذا العامل إلى صفات موروثة متمثلة في صفات نفسية ،وأحوال روحية ,وهذه الأحوال تنعكس إلى صفات بدنية يمكن ملاحظتها ،ومن هذه الصفات لون العين والشعر والبشرة .وأكثر من ينادي بهذه النظرية المجتمعات الغربية ، وقد يرجع ذلك إلى الفترة التي حقق فيها الغرب نجاحات عدة في الوقت الذي كان العالم فيه في حالة من الجمود - هذا عن العصر الحديث أما عن القديم فإن قلة الاتصالات وعدم اكتشاف جزء كبير من العالم تجعل من هذه النظرة محدودة وضيقة . لكن إذا تسألنا عن التسلسل الحضاري لهذه النظرة فإننا نجد أن هذه "النظرية ..... تضع على منصة الشرف السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء والرأس الطويل ، التي يدعوها البعض بالإنسان النوردي [6] ، ويدعوها نيتشه بالوحش الاشقري" [7].

لكن النظر في هذا الرأي يوضح مدى هشاشته ، فمن الناحية الأولي إذا نظرنا إليه في الفترة التاريخية القديمة جداً ، فإننا نجد ما ينقض هذه الدراسة هو أن أغلب أجزاء العالم لم تكتشف الأحديثا. ومن ناحية أخري فإن الحضارة البابلية والآشورية والفرعونية كانت غاية في الإبداع والنظام ،فحدائق بابل المعلقة والاهرامات الفرعونية ، مازالت حتى الآن تعتبر من عجائب الدنيا السبع التي لم تبنى حضارة ما مثلها مع العلم أن أكثر الحضارات استمرار وامتداد في التاريخ ، هي الحضارة الفرعونية ، فهل هذا يدعونا إلى أن نبحث في طبيعة الجنس العربي أو الفرعوني المحصور في منطقة وادي النيل لتحدد طبيعته البدنية ونحددها على أنها تلك الصفات الجوهرية الموروثة لبناء حضارة؟ أما عن فترة العصور الوسطي فإننا نجد أن أوربا كانت تعيش في حالة من الضياع وسادت فيها الهرطقة والخرافة ، فإذا كانت الشخصية الحضارية كامنة في صفات موروثة فإنها لابد أن تكون باقية بقاء الوارث.

أن هذا يدعو إلى أحد الأمرين أما إيجاد مبرر قوى يبرر سبب إختفاء عنصر الوراثة في تلك الحقبة التاريخية ، وإما أن يعتبر ذلك العنصر غير جدير بأن يكون الفاعل في الحضارات؟ .ولعل الرأي الأخير أكثر فاعلية ومصداقية ، بدليل إن أعظم الحضارات لم يقم بها الجنس الأصفر، بل ظهر في اثينا قديماً ، ثم روما التي كانت معماريا من أكثر المجتمعات ازدهاراً. وكذلك الأمر في النحث وبقية العلوم في العصور الوسطي ، حين كانت أوربا في العصر المظلم وسيطرة الكنيسة ، وكان العلماء فيها (ومنهم كوبرنكس) قد قدموا للعالم اكتشافات غيرت نظرة العالم للكون.

أن ما ورد يجلعنا نتسأل أما أن يكون المنادون بهذه النظرية قد وقعوا في وهم القبيلة أو التفخيم [8]، وأما أن يكون لديهم مقياس آخر للحضارة غير ازدهار المجتمعات علمياً وثقافياً وتماسكها اجتماعياً وعقائدياً واقتصادياً . بمعنى آخر اعتبار التاريخ تاريخ الغزو والحرب ؟ وفي هذه الحالة فإن النظرة قاصرة وفي أسوء الأحوال خاطئة . فمن الناحية الأولى قاصرة ، إذا اعتبرنا أن حالة الحرب والقوة العسكرية تمثل استعداد الدولة أو المجتمعات للدفاع عن أمنها ، أو لرفع شعار الحرب من أحل السلام ، أي للضرورة التي لامناص منها.

أما من الناحية الثانية خاطئة لأن الحضارة هي بناء ، والبناء يعنى الاستقرار . فالإنسان من نشأنه يسعى إلى أفضل سبل الحياة ، وليست الحرب والوحشية بأفضل سبل الحياة، أن عظمة روما مما كانت في أمنها ،حيث توفرة سبل الإبداع والبناء ولكن الخراب والانهيار كان بسبب الحرب وذلك في موقعة كاتأي، [9] في حرب ضد قوات القائد هانيبال.

إن عامل الجنس لعب دور كبير في الحملات الاستعمارية ، وقد أخذ مبرر لقيام حضارات على أنقاض مجتمعات ومحاولة لتبرير يقضة بعض المجتمعات من جديد ، فقد اتخذ مبرر لقيام حضارة روما من جديد بعد انهيارها في11ق م ، حيث راء البعض ، بأنه يرجع إلى سكب دم جديد من الجنسي الوحشي في حين أن الحقيقة إن "الرد الطبيعي ، انتفاء ذلك : إذ يبد أن المؤرخين، يجمعون على أن احتياج فرنسا الثورية النابليونية لإيطاليا أذبان القرن التاسع عشر"[10].

ثانيا عامل البيئة:

إن الأمر الذي لا يمكن تجاهله إن الإنسان يبني حضارته على الأرض بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجغرافيا فمن يريد أن يضع حدث معين مهما كانت ضئالته فإنه محتاج بطبيعة الحال إلى مكان وزمان ليضع ذلك الحدث. لأن الأمر متعلق بعملية واقعية معاشة. فالفعل الحضاري بدون

الجغرافيا مثله المضمون بدون شكل ، والجغرافيا بدون الفعل الحضاري تمثل الشكل الساكن الفارغ من المحتوي.

فالنقاش حول حدث ما يفرض علينا أن نتسأل أين ؟ كيف ؟ فالبعض ينظر لـ" صور الحياة الإنسانية على أنها انعكاس للأوضاع الجغرافية والمناجية لا تختلف في ذلك عن حياة النباتات وهذا يضمن أن التغيرات التاريخية أن هي إلاشكال مختلفة لشئ واحد لا يتغير هو الطبيعة الإنسانية في استجابتها لمختلف المؤثرات "[11] وهذه النظرية تمثلك رصيد وتاريخ عريق وقد تكون لاقت استحسان أكثر من سابقتها. ربما لأن الأولى واجهة استهجان من الناحية الأخلاقية ، لما تحمله من تعالى للبعض وإنقاص من الأجناس الأخرى .ومن الناحية العلمية لوجود عدت ثغرات يصعب سدها.

لكن النظرية الثانية تجعل مركز القوة والضعف ليس في الإنسان ، بل في قوى أخرى إلا وهي الطبيعة ، فهي بذلك من الناحية الأخلاقية والنفسية ، ترمي بالعيب بعيد عن كاهل الإنسان لتحمله للطبيعة أو البيئة .أو بمعنى أخر على قوى غيبية وضعته في هذه الظروف. ومن هنا نلمس في هذه النظرة طابعاً قدرياً ، فما دام المناخ قد فرض أمبروطوريته، فالجغرافيا بما تحمله من مناخ تحدد طبيعة البشر في " جدوبة الاراضين تجعل الناس ماهرين زاهدين جلاداً على العمل فجدا صالحين للحرب ، فيجب أن يحصلوا على ما تضن الأرض به عليهم ، وبتنعم خصب البلد مع يسر، بنعومة وببعض الحب لحفظ الحياة "[12] حسب قول مونتسيكو[13].

إذا كان الأمر كذلك فإن تأثير غيرها من العوامل للإيكاد يبين ، بما فيها فاعلية الإنسان. وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة ، فإن الباحث التاريخي لن توجهه أي مشكلة في تقصي الأوضاع الحضارية لأي مجتمع من المجتمعات البشرية ،بل يمكنه معرفته بمجرد معرفة أحول الجو والطبيعة .وهذا أمر يحمل في طياته محادير ، أن لم يكن مغالطات عدة.

فهيبوقراط في رسالته " تأثير الجو والماء والمواقع" قد قسم الإشكال البشرية حسب بيئتهم حيث يقول " يمكن تقسيم الإشكال البشرية إلى النوع الجبلي الغزير المياه ، والنوع ذي التربة الضعيفة عديمة المياه ، ونوع المراعي ذات المستنقعات ، ونوع السهول المستصلحة جيدة الصرف " [14] ويصف أشكال الأبدان حسب طبيعة البيئة من الحشنة إلى اللينة السهلة الانقياد ، ويري أن الطبيعة الإنسانية تتغير حسب طبيعة البيئة .

وتذهب بعض الآراء إلى أن وأدى النيل وأثره على طبيعة المصريين ، والحياة في السهل الأوراسي وأثره على الاسقوديين [15] ، ونجدها أيضا عند(ابن خلدون) وأن كان لا يجعل منها العامل الوحيد حيث بعد أن قسم المناطق إلى حارة وباردة ومعتدلة ، وتحديدها في سبعة مناطق ، رأى أن المنطقة التي تقع في الوسط أكثر المناطق اعتدالاً وكلما زاد الابتعاد عن الوسط قل الاعتدال. ولهذا الاعتدال دور كبير في الحياة ، حيث يرى إنه السبب في جعل " العلوم والصنائع و الملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال والحيوانات وجميع ما تتكون في هذه الأقاليم الثلاثة وسكانها من البشر اعدل أجساما وألوانا وأخلاقا ، واديانا حتى النبوات فإنما توجد في الأكثر فيها "[16].

مما لاشك فيه إن البيئة تلعب دور هاماً،باعتبارها أحد الإمكانات والعوامل الأساسية في الحياة.فمثلا "حرارة الأمطار الاستوائية وما يجتاح تلك الأمطار من طفيليات ، لا تقع تحت الحصر ، لا تهيئ للمدينة أسبابها. فما يسود تلك الأقطار من خمول وأمراض وما تعرف به من نضوج مبكر وانحلال مبكر من شأنه أن يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام

المدينة" [17]. فهذا المثال ينال من الصحة نصيب وافر ، ولكن هذا لا يعنى بأن البيئة هي العامل الوحيد ، بل أن هناك عوامل آخر ساهمت في ذلك أذان شعوب كثيرة واجهت ظروف صعبة ، ولكن كانت لها القدرة على التغلب عليها ، بعد أن تمكنت من معرفة أسرار الطبيعة ، وحاولت تسخيرها للوجهة التي تريد ، وإذا قارنا بين المناطق ذات البيئة الواحدة فإننا نجد حضارات ذات طابع مختلف رغم وجود بيئة واحدة . فحضارة وادي النيل كانت لها طبيعتها الخاصة دامت الألف السنين . في حين إن حضارة وادي الأردن المجاور لها رغم تشابه الطبيعة فيها إلا أنها لم تكون موطن أصلي لأية حضارة .بل أنها حتى الثقافات الموجودة بها كانت مستوردة استجلبها السومرين معهم . وكذلك الأمر في مناطق أخري.ففي غابات"أمريكيا الشمالية قبل منطقة اللانوس في منزويلا والمبمياس في الأرجنتين ، ومراعي استراليا لم تنجب نوعاً خاصا بها من المجتمعات البدوية" [18] رغم وجود بيئة رعوية.

إن البيئة لها تأثيرها على الإنسان في تكوين نمط حياته ولكنها لاتصنعة. وقد يكون مرجع ذلك إلى أن للإنسان القدرة ، وكذلك للموقع الجغرافي دور في تحديد طبيعة الحياة الاجتماعية من حيث وجود مواقع طبيعية توفر لها الحماية الكافية من الاعتداءات الخارجية، وتوافر الإمكانات المعيشية . ولكن الأمر الذي نود تقريره " أن المناخ الجاف لا يصنع المستبد هكذا بكل الأحوال .ولا الملك نتيجة المناخ المعتدل لا يؤثر المناخ اللأعلى " مزاج" الناس عبر تحول فيزيولوجي يؤدى إلى تقلص أو تمدد الحدود القصوى . وبهذا يؤثر على الحساسية العامة للفرد ويسبغ عليه حاجات وميول خاصة " [19].

إن أقصى ما يقال عن البيئة والأساس الجغرافي أنه يوفر ظروف معينة للإنسان ، قد تكون هذه الظروف قاسية ،وقد تكون حسنة يتعامل معها حسب قدراته وبذلك يتحدى مصيره. فنفس الموقع قد يعطي صورتين متناقضتين، مما يشير إلى وجود قوى وعوامل آخر. ومثال على ذلك " أن جو" ابونيا "قد أسهم في إضفاء الصفاء والرقة على أشعار هو ميروس ولكن هذا الجو وحده لا يخلق شعراء من طراز هو ميروس . كما أنه لا يظل يأتي بمثلهم ، ففي العهد التركي لم يظهر شعراء "[20].

إن هذا العامل ، قدر ما يؤكد أن له دور في صناعة الحضارة فإنه لا يمكن أن يكون القوة الوحيد في صناعة الحضارة فمن الوضح أن هناك شئ ما أو قوى أخرى لها دور في بناء الإنسانية وانهيارها .

إن الأحادية في القوة في العنصرين السابقين كانت أهم أسباب القصور فيهما على الرغم من وجود قوة كفيلة بأن تلعب دور في رسم التاريخ الحضاري ، ولذلك لا يمكن أن يكون هو تلك القوة الوحيدة التي ينطبق عليها القول الروماني بأن " القوة تنشئ الحق وتحمية " وكذلك ستناقش عامل آخر في هذه الفقرة لنري مدى تأثيرة في صناعة الأحداث.

ثالثاً: القوة الاقتصادية ..

الفرد أو المجتمع لا بدله من رصيد اقتصادي يسنده في الحياة . فالمال عصب الحياة حقيقة لا يمكن ألتغاض عنها ، فالإنسان مند بدأ الخليقة بدأ بالبحث عما يسد رامقة ،إلى أن وصل إلى مرحلة يخرن فيها الزائد عن حاجته .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هو إلى أي حد تؤثر القوة الاقتصادية في البناء الحضاري باعتبارها وسيلة من وسائل الحياة ؟

إن أكثر النظريات تركيز على القوة الاقتصادية هي النظرية الماركسية" فالبناء الاقتصادي للمجتمع – يقول ماركس – هو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية والتي تطابقها أشكال محدودة من الشعور الاجتماعي فأسلوب الإنتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة ليس وحدن الناس هو الذي يعين وجودهم ، بل أن وجودهم هو الذي يعين وجدانهم" [21] إن الاقتصاد دون شك يعزز من وضع المجتمع ويجعل له دور في تحريك العالم المحيط به ، ولكن السؤال يضع نفسه أمامنا ويستدعنا للوقوف عنده هو لماذا توجد مجتمعات تملك من الثروات ما يكفل تحقيق موقع ريادياً في العالم لكنها أكثر المجتمعات تخلفاً ولم تنشأ في أراضيها حتى الآن حضارة تذكر؟ مثال على ذلك أوسط أفريقيا. رغم كثرة الخيرات بها تحت أقدام مجتمعاتها مازلت تعاني التخلف وتحتاج إلى قرون للتخلص منه في حين إن مناطق أخرى لا تملك من مقومات الحياة الاقتصادية إلا القدر اليسير لكنها صنعت لنفسها مكانة ريادية في العالم ، فاليابان مثلاً تستورد موادها الخام من الخارج لكنها تغزو العالم بعلمها الذي هو سرُ تقدمها ، وجعلها سيدة على الدول التي تمدها بالمواد الأولية.

قد يجادل البعض مدلل على عكس ذلك بالقول إن الاتحاد السوفيتي لم يسقط ويتفكك الابسبب انهياره الاقتصادي ، ولكن السؤال الذي نستشفه من حديثة ، لما سقط أو بالأصح تفكك رغم وجود الثروات الاقتصادية من ذهب ويورانيم وتجارة سلاح ، وغيرها من الإمكانيات ؟ إن هذا يشير إلى وجود خلل داخل المجتمع ذاته ، أو بمعني آخر يشير إلى وجود قوى أخرى أو علاقة أخرى تحكم سير المجتمعات جعلت من اليابان في وضعها الحالي ، وكانت سبب في انهيار الاتحاد السوفيتي .

من جهة آخر إذا نظرنا إلى الفترة التي نشأت فيها هذه النظرية في أوربا لوجدنا أن الوضع الاجتماعي الطبقي ، يجعل من أغلبية المجتمع الطبقة العاملة طبقة مضطهدة ، تعاني البؤس والحرمان ، ووجد ماركس إن من بمارس السيادة ويملك القوة هم البرجوازيون المسيطرون على عصب الاقتصاد ، ومع نظرة بسيطة للتاريخ وجد تطور متزامن بين الحالة الاقتصادية وتقدم طبيعة الحياة الاجتماعية ، فالطاحونة الهوائية رفيقة الإقطاعي ، والمصنع رفيق البرجوازي، والريف موطن الإقطاعي والمدينة الصناعية موطن البرجوازي، لكن من طبيعة الحياة الاجتماعية أنها تتغير ومعها القيم الاجتماعية بتحسن الوضع الاقتصادي منها والفكري.

وبالإضافة ذلك أن هناك ظروف أهم جعلت من العامل يتقبل الظلم والحرمان دون أن ينتفض في وجهه ، فإذا تسألنا لماذا قال ماركس " الدين افيون الشعوب " و" لا إله والحياة مادة "علينا أن نتسأل ماذا كان يعني الدين في تلك الفترة ؟ المسيحية في تلك الفترة تدعو للتسامح إلى حد القول أن من صفعك على خدك الأيمن ادر له خدك اليسر ،هذا ما جعل العامل يتقبل الظالم بصدر رحب من ذلك البرجوازي أيمانا منه بأن هناك إله عادل سوف ينصفه في الحياة الآخرة وليس فقره سبب ذلك الضعف .بالإضافة إلى ذلك إذا صرفنا النظر عن ظروف نشأتها،وناقشنا فكرتها فإننا نجد أن القول بإن التغير الاجتماعي ينجم عن الصراع الطبقي القائم على القوى الاقتصادية تعوزه الصحة " بسبب تصوره المحدود للقوى المؤثرة ، وبسبب ما تنطوي عليه نظرية العمل للقيمة من مغالطة في الحقائق عندها تذهب إلى إن العمل هو المصدر الأوحد للقيمة "[22] لأن القيمة في حد ذاتها مفهوم اجتماعي ، وجداني وليس شئ حس مثل الاقتصاد ، وهذا يعنى أن هناك عوامل أخرى تدفع القوى الاقتصادية ، مثلما تدفع غيرها

في اتجاه ما أو بالأصح تدفع الإنسان إلى عمل ما اقتصادي ،أو فكرى أو سياسي ، فالقيمة هي التي حددت حاجة الإنسان ، ودفعته للعمل نحو تحقيق تلك الغاية .

إن العيب يكمن في نفي جوانب لها تأثيرها في الواقع الاجتماعي. فابن خلدون مثلا رغم أعطائه للحياة الاقتصادية دور في التطور التاريخي للمجتمعات ، إلا أنه لم يجعل منه الوحيد ، وكذلك الأمر عند غيره من المفكرين ، فالاقتصاد جزء من القوى التي لاغني عنها . وبالرغم من أن ابن خلدون قد أخذ عليه البعض أنه من أنصار المادية بسبب بأكيدة على الدور الاقتصادي عند انتقال المجتمع من البدور إلى الزراعة ، أو المدينة ، إلا إن فكرية لا تحمل مدلولاً اقتصاديا فحسب بقدر ما تحمل مدلولاً اجتماعياً آخر وهو الاستقرار من عدمه باعتباره أساس الحضارة . فالرحيل باعتباره طابع اجتماعياً يمنع الإنسان من أن يضع خطة زراعية بسبب عدم الاستقرار الذي يمثل سبيل من السبل التي واجه بها الإنسان الطبيعة ، والحياة بصفة عامة ، ثم أن انعدام الاستقرار يجعل من المعالم الحضارية المادية – والتي تحتاج إلى الاستقرار – مستحيلة التحقيق إذا استتبنا بعض الفنون ،والأفكار التي يتوارثها الأجيال ، لمعالجت ظروفهم الاجتماعية والبيئة .ومن أجل التكيف معها جعلتهم "يتخذون البيوت من الشعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة – والذين – قد يأوون إلى الغيران والكهوف" فاجتماعهم هذا انماهو " بالمقدار الذي يحفظ الحياة "[23].

فالعصبية لم تقيم لغرض الحاجة الاقتصادية فقط ، بل قامت من أجل الحماية أيضا ، وكذلك لحاجة الإنسان للإنسية وبسبب الغريزة الاجتماعية " أن قيام أحدى العصبيات بالثورة والمطالبة غالباً ما يقترن بنقص في موراد عيشها، أما بسبب عوامل طبيعية كالجفاف أو أن تدخل السلطة المركزية (جمع الضرائب) ..... كما قد يصاحب ذلك كله قيام دعوة دينية أصلاحية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر" [24].

إن هذا يشير إلى الإحساس بالظلم فيدفع إلى الثورة لرد الحق الاقتصادي بتفشي الفساد الأخلاقي ، وهذا يعني إن هناك عامل جديد نتلمسها في البيئة وفي الاقتصاد تولد حركة مستمرة لذى الإنسان وهي الحاجة إلى الاستقرار وهذا يولد صورة جديدة تشمل جميع العوامل السابقة في إطار جماعي اجتماعي ، وهذه القوة هي القوة التي لدى الإرادة الإنسانية . في حركتها بين الفعل ورد الفعل من أجل تحسين الحياة والوصول إلى وضع حضاري يحقق الأمان والاستقرار.

الإرادة الإنسانية (التحدي والاستجابة):

إن الإنسان بقيامه بالفعل يصنع الحضارة سواء أكان ذلك تعبيراً عن ضعفه ، أو عن قوته . من ناحية ، أو عن همجيتة وتحضره من ناحية أخرى .فكل ما يوجد من أمكانات عقلية أو جسدية أو موارد اقتصادية ، أو ظروف بيئية ، تمثل أداة لذى الإنسان إذا أحسن السيطرة عليها. ومن هنا تبرز قدرة الإنسان على التحدى ولعلنا نجد في نفس البيئة تقوم حضارة قوية ، وأخري ضعيفة ، وفي نفس الوقع الاقتصادي نجد حضارتين مختلفتين ، مما يشير إلى إن الحضارة أو الحياة البشرية هي صراع بين قوي عدة بين الطبيعة والإنسان وبين الإنسان ونفسه. فالصراع هو المسلك الذي يحدد مدى قدرة الحضارة على الصمود وتكوين ذاتها " أن المغامرة من أهم العناصر الجوهرية في تكوين الحضارة بل هي على العموم السعي وراء أنواع جديدة من الكمال وتتمثل فيها تلقائية السعي وحدته ويرفع من وعيها على التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون "[25] وبما أن الحضارة تعتمد على الصراع (الفعل و درد الفعل) فهي تعني الإحساس بالخطر وبالتحديد كما يعرفه(شينجلر) حالة من الجزع والخوف على المصير الذي يدفع بالإنسان إلى العمل من أجل حماية نفسه وتحصينها . فالإحساس بالخطر

غالباً ما يثير الحيرة والقلق لدى المجتمعات والأفراد مما يدفعها على استخدام مهاراتها لمواجهتها "ففي سبيل ممارسة الحرية النسبية في سن الرشد لابد من التضحية بأمن الطفولة " [26].

أن الإنسان يرغب في الوئام والسلام ، لكن الضرورة تدفعه في تجاه الصراع الذي تنضج فيه هوية المجتمع الحضارية وتتحدد معالمها ، حيث نجد المجتمعات والأفراد نفسها تقف أمام ظروفها ، وإمكانيتها من جهة ، والبيئة من جهة أخري. لترى وتُرى العالم مدى قدرتها على التحدي في جبهات عدة ،اقتصادية وسياسية وعلمية ، في إطار مجتمع متماسك له القدرة على الأخذ والعطئ.

إن التاريخ أو الزمن بتعبير الدق هو الرحم الذي تكونت فيه الحضارة فهي لم تبرز للعيان فجئة دون مخاضي كأنها طفرة بل تمت بحد الجهد بتأثيرات عدة فـ" صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة :

أ) تأثير عالم الأشخاص.

ب) تأثير عالم الأفكار.

ج) تأثير عالم الأشياء.

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص."[27] أن هذا يعني إن الحضارة نتاج اجتماعي يستلزم توازن بين القوى الفكرية والعقائدية والمادية ولا يمكن أن تكون شئ غريب من المجتمع. فهي ليست شئ يمكن استحضار من مجتمع أخر، لأنه يؤدى إلى مسخ وتذويب للمجتمع ، وهذا ما يحدث مع تلك المجتمعات التي لا تقوى على تحدى الظروف ، والتي قد تفقد صفتها الاجتماعية ، وتدوب في مجتمعات أخرى .

أن القوة التي ينطبق عليها بأنها تنشئ الحق وتحميه هي قوة التحدي التي هي بناء من قوى عدة فهي الجمع " بين العلم والضمير وبين الخلق والفن ، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة حتى يتسنى له أن يشيد عالمة طبقاً لقانون أسبابه ، ووسائله وطبقاً لمقتضيات غاياته ، أن الذي يريد أن يعيد للعالم شبابه لابد أن يكون إنسانا جديد قادر على حمل مسؤوليات وجوده مادي وروحياً كمثل وشاهد [28].

إن هذا ما جعلنا نبتعد عن الأحادية ،ونبدأ البحث على أساس آخر غير أحادية البيئة أو الجنسي أو الاقتصاد ،ذلك الأخر هو أساس الإرادة الإنسانية في استجابتها للتحدي ، وهذا الأساس يمثل مجموع وليس أحادية تهدف إلى تبرير ، تشوبه نزعة عنصرية أو اتكالية أو نتيجة رد فعل بسبب رفض واقع معين ، ولذلك اتخذت الإرادة الإنسانية في صورتها السابقة ، بالإضافة إلى أنها مستندة إلى المجتمعات .

فالتاريخ هو تاريخ مجتمع في صراعة مع نفسه ومع الطبيعة ومع غيره من المجتمعات ، والعلاقة فيها ، هي في أساسها علاقة قيم وأهداف تلك القيم التي تحدد الوجهة المراد سلوكها ومدى تماسكها يحدد مدى قدرة الإنسان على التحدي، بالإضافة إلى أنها علاقات بين مراحل الحياة النفسية كالعلاقة ، مثلاً بين الشعور والتعبير ، بين الإشارة والاتصال ، بين

والفعل ، بين الفعل والفرض العام . وكل تعبير عن الحياة يستمد معناه من الطريقة التي ساهم بها في قضية وأكثروضوحاً [29] وكل هذا يستدعي أن نستنبط تلك العوامل من المجتمعات باعتبارها الدائرة التي تقع فيها الأحداث التاريخية .

فإذا نظرنا إلى أي مجتمع لنعرف الحيثيات التي يقوم عليها لوجدنا في أساسها هو المجتمع نفسه ، أو بالأصح تكوينه هويته القومية التي تندرج تحتها العشيرة والقبيلة والأسرة والفرد ،وكذلك بيئته وموقعه الجغرافي بالإضافة إلى قوية الاقتصادية والسياسية وقوته العقائدية والدينية التي تكونت واقعيا بعد وجوده الاجتماعي.

وسنتناول هذه العناصر بالتحليل ثم نورد مثال من الحضارات التي شغلت مساحة من الزمن لترى من خلالها مدى قوة الدور الذي لعبه كل من هذه العوامل في نشأتها وتدهورها.

أولا : البيئة الاجتماعية :

إذا نظرنا إلى المجتمع الإنساني منذو هبوط أدم عليه السلام فأننا نجد أن سبب الهبوط هو الصراع الذي أدى إلى مخالفة الرب ، حيث الصراع بين الخير والشر الذي يتضح جلياً بعد ذلك في الصراع بين قابيل وهابيل بين حضارة الرعي والزراعة . فأساس هذا التكوين البشري الاجتماعي هو الصراع ،وهذا الصراع في أساسه ظاهرة طبيعية سببه الحاجة المعرفية كما هو مع آدم عليه السلام أو غيرها من الحاجات التي تتطلب مواجهة الآخر من إنسان أو طبيعة .

وإذا نظر إلى تكوين المجتمع فإن أول ما ينشأ بعد الفرد الأسرة حيث يكون الأمر طبيعياً متمثلاً في غريزة الجنسي والتكاثر ، وغالباً ما تكون الرابطة رابطة أدبية طبيعية يسودها سلطان الإبوة والأموية والحاجة إلى الرعاية ثم يتكون المجتمع. حيث تتسع الدائرة بتعدد الأسر والقبائل مما يؤدي إلى نشوء المجتمعات في انضج صورها وهم الأمم أو القوميات حيث يكون بالمكان مشاهدة صور الصراع وعوامل نشؤه فالحاجة إلى الأمان والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. بالإضافة إلى النمو طبيعي في العلاقة القومية جعل منها تمثل وحدة متكاملة ، يتوفر فيها جلّ إمكانات الحياة وأن لم تكن بأكملها.

هذه البنية الاجتماعية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية ويري فيها(شبنجلر) صورة الجزع أو الخوف على المصير وصورة التحدي والاستجابة عند (توينبي)، وعالم الأشخاص عند (مالك بن نبي) في معادلة الحضارة وفي هذه الوحدات الاجتماعية تبرز صور الصراع بين جدب وطرد ، وتحدي واستجابة ، حيث تنقسم المجتمعات الإنسانية إلى قوميات لها ميزاتها وخصوصيتها من أديان وعرف وثرات وتقاليد تكون شخصيتها الثقافية والنفسية والإيديولوجية .

ولعل سائل يتسأل أليست الأمبروطريات والدول التي تحول مجتمعات أو قوميات عدة تبرز فيها صور التحدي والاستجابة؟ بلا تتضح فيها ، لكن ليست تلك الصور قائمة على بناء طبيعي ، بل تمثل واقع اصطناعي فرض بالقوة هذا من ناحية ، من ناحية أخري فإنه يمثل بدرة الانتحار لتلك الإمبروطرية ، والسبب في ذلك اختلاف القيم والثقافات والنفسيات ، وبمعني أخر اختلاف في البنية الاجتماعية مما يؤدي إلى التمزق الداخلي ، وذلك بسبب انعدام وجود روابط طبيعية .ولذلك فإن فكرة مجتمع إنساني موحد يمكن التسليم بأنها فكرة طوباوية غير قابلة التحقق ، وإذا سألنا عن السبب ، يكون سببه انهيار القاعدة الطبيعية التي يتحرك من خلالها العالم ، فإذا أردنا مثل هذه الوحدة فإننا ستكون أمام خياران ، إما أن نبحث عن نقيض لعالمنا الموحد ليمثل نوع من التحدي الاجتماعي يشكل نوع من حالة الجزع والحرص الباعث

على الحركة، وإما أن نعود إلى نقطة الانطلاق (البدائية) والسبب أن المجتمعات لا تقبل بسهولة مسخ شخصيتها حتى وأن كانت عاجزة ، فأنها تحاول النهوض ، ولذلك فإن الهيئات الدولية غالباً ما تكون عاجزة عن فرض قوانينها على الدول المشتركة فيها لأن القوي القومية لا تتنازل عن قوتها وسيادتها ، أن أقوي صور الشئ ونقيصة تتضح عالمنا في شكل الأقطاب ، وغالباً قطبان يمتلكان من القوة ما تكفي لأن تكون لهما السيطرة ، والشواهد كثيرة منها مصر وبلاد الرفدين ، الفرس والروم ، الدولة الإسلامية (العرب) والروم ، الاتحاد السوفيتي – وأمريكيا ، وتبقي باقي المجتمعات تدور في تلك أحدى الدولتين وتحاول صناعة شئ في التاريخ.

وإذا أخذنا مثال على تلك القوميات التي حاولت أن تنظم بقية القوميات إلى أمبرطوريتها ولتكن الأمبرطورية الرومانية في عهد الاسكندر المقدوني ، أن الدولة الرومانية في عهده حوت قوميات عدة وحاولت فرض الثقافة الرومانية عليها، لكن ذلك أذى إلى انتفاضات عدة سببها شعور تلك القوميات بالامتهان ومحاولت طمس شخصيتها .وذلك عن طريق السيطرة بالقوة. فكانت محاولة المكلويون تم الإيرانيون والسوريون والمصريون وأن كان مصير هذه الانتفاضات الفشل بسبب قوة التحدي الموجهة من الأمبروطورية الرومانية إلى أن جاءت الانتفاضة العربية الأخيرة في الفتح الإسلامي[30] بالإضافة إلى ذلك أن الامبروطورية تفسها تواجه صراع ثقافي سببه اختلاف بنية المجتمعات واتساع رقعتها مما يصعب السيطرة عليها ، ويؤدي إلى وجود حالة اضطراب وقلاقل داخل الدولة أو المجتمع .

وكذلك الحال أدى اتحاد عدة موميات داخل الدولة الإسلامية إلى وجود صراع داخلها كان السبب في تفككها وذلك نتيجة لصراع تلك القوميات على السلطة وخصوصاً يحدا انتفاء الخطر الخارجي عن الدولة الإسلامية ولو إن الإسلام بقي كدين لقوميات تتمتع تحياتها الاجتماعية الخاصة باعتبارها خصوصة لتلك القومية . وبقي الدين يمثل دائرة وسعة لقوميات عدة ولكن ليس في أيطار الدولة بل في أيطال العقيدة التي تستدعي الضرورة الدفاع عنها والتشير بها دون محاولت طمس شخصية القوميات لأن ذلك يؤدي إلى الصراع القومي.

خلاصة ذلك الصراع في الامبروطوريات التي تنظم قوى قومية عدة هو انعدام حالة الاستقرار الذي يعد أساس هام لنشؤ أي حضارة . والاستقرار بمعناه الشامل هو ذلك الذي يكون فيه المجتمع مستقر " من الناحية الطبيعية التي تتوفر فيها المياه المساعدة على تكوين حضارة مدينة بينما المناطق الصحراوية والتي يغلب عليها الجفاف تتباطئي فيها يختص بالواقع السياسي فإن المناطق التي تجتاحها الحروب والفتن والاضطرابات العسكرية "[31] حيث ينعدم فيها الشعور بالأمن والاستقرار ، وذلك فإن ابن خلدون عندما اعتبر أن حياة البدو بعيدة من المدينة والحضارة بسبب انعدام الاستقرار أما بسبب مطاردة المناطق التي تتوفر فيها المياه ، وأما بسبب الحروب وأما لأنها لم تصل إلى الكثافة السكانية اللازمة والتي تؤدى إلى تكوين ما يسمي بالعصبة التي تكفل لها الحماية وما تحتاجه من حاجيات أخرى. والعصبية هي التي تنشاء من علاقة الدم وصلة الرحم وهي صفة طبيعية لدى البشر وليست تكوين اصطناعي مثل الدولة ، والرابطة العصبية أو القومية تبرزو واضحة " عندما تبلغ الشعوب درجة معينة من الترابط والقومي وحسن الوعي عندئذ يبدو متعدراً على شعوب أخرى أن تتحكم فيهم إلى الأبد "[32] ، وهذا الوعي القومي هو الذي يجعل أي مجتمع يكتسب صفة المجتمع ويجعلها تسرع في الحركة من أجل تغير حالها إلى التقدم. فما هي تلك السبل التي تيسر للأمة حركتها في طريق التقدم؟

متعقدات الأمة :

يقصد بمعتقدات الأمة مبادئها الدينية وأعرافها وعاداتها وتقاليدها ومبادئها السياسية باعتبارها تكون التركيبة الروحية والنفسية والأخلاقية للأمة.

يقول مونتسكيو[33]" أن قوة المبادئ تجر حلفها كل شئ هذا هو الدرس الكبير للكتاب الثامن الذي يفتح بهذه الجملة أن فساء كل حكومة يبدأ دائماً تقريباً بفساء المبادئ". وإذا بحثنا عن تكوين يحوي على عبر وإرشادات ونصوص للعقاب والقصاص من المدنيين ، وقبل كل شئ يشكل جانب روحي مقدس لذي الإنسان يمثل محاولة المساس به خطر يؤدي إلى رد فعل غالباً ما يصل إلى حالة الحرب ، على اعتبار أنه قضية غير قابلة للنقاش ، ويعتبره توينبي أساس من أسس قيام الحضارات ، حيث أن كل حضارة تحتاج إلى دين جديد من أجل رقيها وتقدمها ويعطينا التاريخ دلالة في الدافع الإنساني الحضاري في القبائل العربية قبل الإسلام.

فقد كان ظهور الإسلام باعث للقوة في شبه الجزيرة العربية وسبب لوحدة العرب ، وعاملا ودافعاً لنهوضهم . فكان الدين بسبب في ظهور الدولة الراعية للحضارة الجديدة بما فيه من قيم وروحاً جديدة واجهت قوتي الفرس والروم.[34]" فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني "[35] .

والحال نفسه في مجتمع الحضارات مثَّل فيها العنصر الإلهي عامل هاماً، فمنهم من آلة الملول ، وتعزى للإله الأمور الخارقة التي يصعب تفسيرها فلقد كان المؤرخون القداما من المصريين والبابلين واليونانيين ، يرون أن السبب الرئيس للتغير في التاريخ هو بسالة عظماء الايطال والكهنة والملوك ، أما التطورات التي لم يستطيعوا تفسيرها بتلك الطريقة فكانوا في الغالب يعزونها إلى لرادة الآلهة . فالمجتمع الإنساني ينظر إلى القوة الآلهة دائما على أنها تلك القوة القاهرة الرادعة المسيطرة وفوق كل القوي ،وتمثل في النصوص جانبي الشئ ونقيصة ، الرهبة والخوف من جهة ،والرحمة والرأفة من جهة أخرى ، بالإضافة إلى أنها تدفع الأمة للقيام بما قد لاتقوى على القيام به بدونه ، ولذلك فإن جلّ المجتمعات المترنحة والمتجهة نحو الاضمحلال تكون قد وصلت إلى حالتها تلك غالباً بسبب فقدانها التدريجي إلى وأعزها الديني والذي ينعكس بالضرورة على اخلاقيتها ونفسية تلك الأمة ، فيكون مصيرها الضياع.

ويمكن أن يكون الدين عامل توحيد بين قوميات عدة لكن الصراع القومي لا يختفي ومثال ذلك الدين الإسلامي دين يعتبر الأخوة في الدين أساساً لكن رغم ذلك لم تنتهي الصراعات للقومية كما هو واضح في الصراع من أجل الخلافة ومراتب الشرف .والسبب أن لكل قومية تراث وثقافة اجتماعية خاصة بها ليس من البساطة بمكان التخلص منها لأنها بناء نفسي وعقلي ممتد في جذور تاريخ أولئك القوم.

فا الأعراف جزء أصيلٌ من هوية الأمة. متكون من عادات وتقاليد فهي كما صفها مونتسكيو بأنها أكثر تأثير من القانون بل تؤثر فيه .حيث يقول [36] " أن العادات أكثر تنظيما لأعمال الإنسان ،و ..... أكثر سيطرة على السلوك الباطنئ وأن الثانية أكثر سيطرة على السلوك الخارجي" فالعرف فهو ماتعراف عليه أفراد المجتمع ، ويمثل قانون غير مكتوب ويمتلك من القوة ما يجعل من الصعوبة التمرد عليه. والسبب بصرف النظر عن كونه نتيجة طبيعية ناتجة عن العلاقات الاجتماعية ، فإنه أيضا نابع من حاجة الفرد لجماعة تحمية وتشد أزره ، وقلما يتمرء احد عليه ، فهو جزء من تكوين المجتمع المورث ودليل قوته ، باعتباره جزءٌ من ثراته الروحي المعنوي والروحي الذي يحتكم إليه وقت الحاجة ويوطد العلاقة بين الأفراد فيما بينهم من جهة ، وبين الأفراد والأمة من جهة أخري.

دور الأفراد (الأبطال)

يؤرخ البعض في كتابة التاريخ باسم بعض الأفراد سواء أكانوا ملوك أو أفراد أبطال والسبب في ذلك يرجع إلى دورهم في صناعة الأحداث وتقديس مجتمعاتهم لهم، بسبب ما أدوه من تضحيات جليلة من أجل مجمعتهم ، وهؤلاء الإبطال هم أكثر وعيا وشفافية وإحساسا بقضايا مجتمعاتهم.

إن البطل غالباً ما يظهر في تلك القدرات التي يحصل فيها انسداد في مجري التاريخ القومي ، وهؤلاء الإبطال لا يؤثروا في التاريخ إلا بشكل جزئي، ولكن الجزء الهام من الاتجاه العام للمجتمع ، ولكن التمجيد يجعل منه صانع للتاريخ بصفة عامة لذي الجماهير في حالة نجاحة " فلا مجال للقول أن البطل معجزة عصره لأن ذلك ليس الاتمجيد سادج يشع ... مشاعر جماهير يعوزها الوعي التاريخي الناضج

إن البطل لا يستطيع التأثير في التاريخ مالم يكن الزمن مواتيا له وما لم تكن الظروف مهيأة لظهوره فضلا عن أن البطولة يحددها نوع العالم الذي ينشأ فيه البطل أو الزعيم ". (37) وغالباً ما يكون مصير هؤلاء الإبطال تعيسا فمنهم من قتل مثل بوليوس قيصر،ومنهم من مات في سن مبكرة مثل الإسكندر الأكبر ومنهم من نفي مثل نابليون الذي نفي إلى سانت هيلانة.

فعامل الجدب والطرد يحكم العلاقة بين الفرد (البطل) ومجتمعه حيث تبرز فيه قوة المجتمع الذي هو عبارة عن فراد تربطه رابطة اجتماعية ،وقوة الفرد الذي يمثل ذاته في الوقت ذاته جزء من المجتمع ، وينضح ذلك من خلال حاجة المجتمع وتقبله له من ناحية ،ومن ناحية قدرته على اقنع مجتمعه أو جره خلفه ليخرجه من الأونه الجرحة التي يعيشها .

قوة الاقتصاد :

بالإضافة إلى ما سبق قوله فإن اقتصاد الأمة يلعب دور هاما إذا أحسن استخدامه وقد يكون سبب تعاسة وهلاك .حيث إذا لم تكن تلك المجتمعات وأفية متماسكة فإنه يكون في جلّ الأوقات سبب في طمع الشعوب الأخرى فيها ،ويجعلها عرضة للغزو والاستعمار .والشواهد على ذلك كثيرة منها الحملات الاستعمارية على جنوب شرق أسيا والشرق الأوسط. حيث كان السبب الرئيسي فيها هو نهب الثروات فكانت بريطانيا تأتي بالتوابل من الهند مثلا ، بالإضافة إلى ذلك أنها قد تكون سبب تفسخ الأمة وانحلالها أو لم يحسن المجتمع استغلالها فـ" الثرف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها .والسبب في ذلك أن القبائل إذا حصل لهم الملك والثرف كثرت التناسل والولد والعمومية فكثرة العصابة ... فازدادوا عددا إلى عددهم وقوة إلى قوتهم" (38) فقوة الاقتصاد قوة للمجتمع إذا أحسن استخدامه حماه من الأعداء ، لكن محتاج إلى عقل بشري يحسن استخدامه، وذلك بالاعتماد على تماسك المجتمع عقائدياً ودينياً ومدى صلابة وتماسك قيمه .

عينة تطبيقية (حضارة مصر القديمة وبلاد مابين النهرين):

سبب اختيار هذه العينة على وجه التحديد يرجع إلى إن الحضارتان قامتا في فترة باتت منصرمة بالإضافة إلى أن المدة الزمنية التي عاشتها كانت طويل جداً من الألف سنة قبل الميلاد إلى نهاية الألف الأخير، بالإضافة إلى تباين تأثير العوامل السابقة في تكوين حضارة كل منهما .

والسؤال الذي نود طرحة للإجابة عليه هو لماذا كانت حضارة مصر أكثر تقدما وأكثر استقرار ؟

وإذا بحثنا عن إجابة من خلال واقع الحضارتان استناد إلى العوامل السابقة لنرى أثرها مجتمعة عن طريق المقارنة بين الحضارتين. وأول هذه العوامل عامل البيئة .

إذا نظرنا إلى موقع مصر فأننا نجدها تقع في منطقة تكاد تكون في موقع حسن للغاية حيث أن البيئة فيه توفر سبل عظيمة للاستقرار الذي هو أول درجات الوصول إلى الحضارة. إذ يكن القول حيث الاستقرار يمكن أن تكون حضارة ، وبيئة مصر من الناحية المناخية هادئة " مأمونة العواقب هينة الحد قليلة القلب ، ليس فيها صراع الظواهر الطبيعية أو مظاهر الرهبة والصخب والعنف، ما يوجه أهلها إلى اعتياد الصخب والعنف أو يطبعهم بطابع التمرد والقلق" [39] بالإضافة إلى السيطرة على فيضان النهر حيث تم عن طريق التقدم العلمي الفلكي معرفة موعد فيضانة. ففي " عهد السلالة الثالثة أظهرت الملاحظات المتعلقة بالنجوم أن ظهور نجم سير يوس عند شروق الشمس في عرض القاهرة يوافق موعد الفيضان، واستخدمت الأدرة المصرية السنة النجمية على هذه الملاحظة لتصحيح التقويم الرسمي القديم وتعليم الفلاحين موعد العمل في الحقول". [40] بالإضافة إلى ذلك فإن الفيضانات ليست مدمرة بشكل كبير ناهيك عن تحديد موعدها بل أنها تجلب الخير باعتبارها تهب الطمئ للمزارع .

من هنا تتضح أن الطبيعة تبعث في نفس الإنسان المصري الطمنيئنة والاستقرار وخصوصاً إذا زدنا على ذلك أن الحدود المصرية بعيدة عن أي عدوان بسبب حماية الصحراء من ناحية الغرب، ومن ناحية الشمال والشرق يوجد البحر أم عن الجنوب فقد كان يمثل عمق استراتيجي لها. فلم تتعرض مصر إلى عدوان خارجي مؤثر إذا استثنينا الهكسوس. [41] وحتى في هذه يرجع في جُله إلى تفكك داخلي (كما سنبرى فيما بعد) والعبرانيين بسبب بروز ديانة جديدة.

أما عن البيئة في بلاد مابين النهرين فكانت على النقيض عما هي في مصر. فالأرض في العراق ليست منبسطة غالباً كما هو في مصر ،بل تكثر فيها الجبال والأودية مما يؤدي إلى عزل بعضها عن الأخر. بالإضافة إلى إن الفيضانات ليست ثابتة الموعد في النهر الواحد . ناهيك عن كونهما نهران (دجلي والفرات) بالإضافة إلى تفرعاتهما مما أعطي صورة مضطربة لذي الإنسان " ويلاحظ أن لون مياه كلا النهرين يختلف نسبياً عن الآخر أثناء الفيضان لاختلاف جيولوجية منابع كل منهما عن الآخر. هذا بالإضافة إلى كثرة الأمطار والزوابع مما يوحي إلى الإنسان في تلك البيئة غير المنتظمة إلى عدم الاطمئنان إليها [42] بالإضافة إلى ذلك إن تلك الفيضان خلفت ورائها متنقعات و نباتات وأشجار عديمة الفائدة .

أما عن الحدود الطبيعية فليست ذات حماية عظيمة بل إن موقعها بالقرب من منطقة انفجار سكاني حيث الأيرانين وغيرهم من مناطق جنوب شرق أسيا مما جعلها منطقة عديمة الاستقرار.

ثانيا: العامل الديني:

لعبت البيئة دور أساس في تكوين الفكر الديني في مصر وبلاد مابين النهرين. ويتضح هذا الأمر من صورة الإله لدى الإنسان في كلا البلدين حيث القيم الدينية التي تبلورت في كلتا المنطقتين تنم عن اختلاف شاسع. فالقيم والمبادئ الدينية لدى سكان مصر تبدو أكثر طمئنية حيث الطبيعة أكثر رحمة وباعثه على الاستقرار وساعد على ذلك الاستقرار تألية الملك في مصر" حيث كان الملك في مصر " يعتبر إلها على الأرض وكان يقوم بدور الوسيط بين العالم الإنساني.وعالم الآلهة حتى يتمكن من ضمان استقرار وطمئنان وتحقيق المطالب الإنسانية لدى السلطان الإلهية "[43] ومن أهم المبادئ والقيم الدينية في مصر ظهور فكرة عالم الآخرة حيث

يوجد الثواب والعقاب. وهذا يجعل الإنسان يحسب حساب لذلك العالم وبالتالي يكون أكثر واحترام للآله الذي هو الملك لذي الإنسان المصري فالتكرار المنتظم في البيئة المصرية من موعد فضالنا الذيل إلى التوقيت السليم الزراعة المحاصيل وجنيها كل ذلك أوحى بفكرة وجود عالم أخر ووجود قوة إلهية تسير هذا الكون . كل هذه القيم الدينية الواضحة الغير مضطربة ساهمت في وجود كيان اجتماعي حضاري مستقر.

أما في العراق (بلاد مابين النهرين) فإن الفكر الديني فيها كان مضطرب اضطراب الطبيعة فيها .وكذلك مختلف باختلاف الشعوب التي عاشت فيها .

فمن ناحية الطبيعة فإن طبيعة بلاد مابين النهرين لم تكن مستقرة ولا عطوفة رحيمة. بل كانت مضطربة قاسية (كما أسلفنا عند الحديث عن البيئة) فكانت القيم الدينية في العراق تميل إلى القسوة والفردية التي زاد من حدتها كون المنطقة حدودية مع شعوب إيران وتركيا .[44] وهذه المناطق ذات كثافة سكانية عالية. بمعنى أخر تعاني من انفجار سكاني فكان ذلك بسبب في عدم وجود استقرار في بلاد الرفدين . حيث أن تلك المنطقة كانت موطن لعدت شعوب منها الاشورين والكلدانين والبابلين والعلامين. وهذا يعني انعدام الاستقرار بالإضافة إلى ذلك إن الملك في بلاد ما بين النهرين لم يصل إلى مرحلة التأليه بحيث يحضى بقدسية عالية على اعتبار أن أعلى قيم لذي الإنسان هي قيم العبادات الإلهية .

كل ذلك جعل صورة الإله في تلك المنطقة مضطربة وقريبة للقسوة منها للاستقرار والطمئنية .

العامل الاقتصادي:

كان للسيطرة على نهر النيل ومعرفة مواعيد فياضانه أثر كبير تنظيم الزراعة في مصر، بالإضافة إلى قوة الدولة التي كانت تقوم تخزين المحاصيل وتوزيعها حيث كانت السيطرة مركزية. وفي يد الإله الملك وكان الدولة بالإضافة إلى الزراعة مهتمة باستخراج المعادن الطبيعية ولذلك فإن الاقتصاد كان دعامة من دعامات الحضارة المصرية بسبب السيطرة المركزية عليه .وخير مثال على ذلك إن الفترة التي دخل فيها الهكسوس مصر لم يكن السبب قبل قوة الهكسوس سوى انعدام المركزية في مصر (أواخر ق 18 ق.م) .ومن الجانب الاقتصادي يتمثل عنصر انعدام المركزية في "الإعفاءات الغربية لبعض المعابد والمقربين قد أضافت أيضا إلى تخرج نظام الملكية الإلهية قرب نهاية الدولة القديمة" [45] ذلك لأن أكثر العوامل خطورة على الدولة العوامل الداخلية .

أما في العراق (بلاد مابين النهرين) فإن الناحية الاقتصادية تختلف باختلاف الشعوب الذي كانت فيها مثلا " كان البابليون شعباً من الزراع والتجار وكانوا أجل قدراً في أوضاعهم العامة من فن الحرب . أما الاشورين فعلي النقيض كانوا منذ البداية إلى النهاية سلالة حرب" [46] بالإضافة إلى ذلك فإن شعوبها في أغلب الأحيان كان اقتصادها يعتمد على الغزوات والحروب بالإضافة إلى بعض المحاصيل من مياه نهري دجلي والفرات إذا لم ينألها الفيضان .

العامل السياسي والاجتماعي:

إن التحدي للواقع السياسي والاجتماعي داخليا وخارجياً تختلف حدته في كلٍ من المنطقتين بين التحدي المعقول المثير الباعث للحركة من جهة في مصر. وبين التحدي القاسي الذي غالباً ما يكون عامل دمار في بلاد مابين النهرين .

فلو نظرنا أولا للواقع السياسي الداخلي في كليهما فإننا نجد هذا الفارق بين هذين النوعين من التحدي . ففي مصر لم تكن هناك شعوب عدة في المنطقة وهذا ما يقوي الروابط الاجتماعية والسياسية بسبب وحدت القيم والمبادئ في المجتمع [47] من ناحية أخري فإن القيم الدينية التي تجعل من الملك أله ويجمع لديه جميع السلطات باعتباره اله خلق نوع من القدسية الخضوع وانقياد للملك . فالحلافات والصراعات لم تكن من القوة بحيث تدمر المجتمع أو الدولة (إذا ستتنيا الفترة التي دخل فيها الهكسوس مصر وهي الفترة التي يطلق عليها عصر اللامركزية الثانية ق 18 ق م) [48] حتى الصراعات التي كانت تدور بين الكهنة في المعابد كانت نوع من التنافس للتقرب الملك .وهي بذلك تتجه لتصب في مصب واحد وهو سلطة الملك الإله الذي هو أصلها ومنبعها. فحركة المجتمع وفاعليته حافزها رضاء الإلة. وساعد على ذلك الكثافة السكانية التي ساهمت في تذويب الهجرات السكانية البسيطة التي وفدت إلى مصر دون أن تشكل كيان غريب دخل المجتمع قد يؤدي إلى تمزقة .

أما بلاد مابين النهرين فإنها تمثل منطقة صراعات سياسية واجتماعية داخلية سبب وجود كيانات اجتماعية مختلفة في العادات والقيم واللغة في منطقة واحدة فكان من الطبيعي إذا أضفنا إليه ما سبق عن البيئة أن تكون منطقة صراع. فعلي سبيل المثال من ناحية اللغة " لوحظ.... أن من أسماء العالم الرئيسية في الأرض العراق والتي تضمنتها النصوص السومرية نفسها ما يختلف في الفظة عن مفردات لغة أصحابها ويختلف عن المسميات اللغة السامية في الوقت نفسه ، مثل أسماء، دجلة (اديقلات)، الفرات (بورا نون بورنونا) .....الخ بالإضافة إلى ذلك اختلاف أشكالهم وملامح الوجه فقد " جمعت خصائص الرؤوس السامية الطويلة بين خصائص أصحاب الرؤوس العريضة من غير السامين ، وهذه ظاهرة يمكن أن تقرن بما أسلفناه عن تصوير بعضهم بأنف أقنى .وهي أنف غير مألوفة كثير في ملامح السامين" [49] وهذا الاختلاف بين شعوب المنطقة جعلها منطقة خصبة للصراعات الداخلية التي سهلت أمكانية الغزوات الخارجية من شعوب المناطق المجاورة. ولم تشهد العراق وحدة سياسية دامت طويلا إذا استثنينا فترة الحكم الإكدى (340 -2180 ق م) وعلى وجه التحديد قترت حكم أسرة " اورنمو" قبيل (ق 21 ق م) حيث تمت إصلاحات قام بها أور الثالث وأسرية حيث تم توحيد البلاد " وتجنبت أور إلى حدما العوامل الوخيمة التي نخرت في كيان الدولة الاكدية من قبلها نتيجة للتفرقة بين السومرين والسامين ..... ماستعانت بالعنصرين في جيشها وفي مناصبة الإدارة. وجمعت بين اللغتين السومرية والإكدية في بعض الوثائق الرسمية والأدبية ، وتسمي بعض ملوكها بأسماء سامية الصفة مثل شوسين ، وأبي سين" [50] ولكن حتى في هذه الوحدة لم تختفي الصراعات بسبب اختلاف القيم .والدليل عجز الدولة عن توحيد اللغة التي هي في حقيقتها تعبير عن تكوين نفس اجتماعي تبلورت منه قيم خاصة بكل مجتمع يستحيل طمسها .

الخاتمة:

يتبين مما سبق إن الحضارات بوصفها جهد إنساني تستند إلى عوامل عدة ، وليس عامل واحد بمفرده . وخصوصاً تلك العوامل ذات العلاقة بالتكوين الروحي للمجتمع.

فالحضارة هي نتاج لتضافر جهود أفراد المجتمع وليست معطي خارجي من الطبيعة . فالطبيعة تهب الإمكانات التي تسهل الجهد الإنساني ، كذلك الأمر بالنسبة للقوى الإلهية ، تهب الإنسان الظروف والأسباب بمختلف صورها بما فيها العقل ، لترى كيف يتفاعل الإنسان معها لتبث وجوده.

لذلك كانت العوامل ذات الطبيعة الروحية أكثر تأثير لدى المجتمعات في قيام الحضارات وفي انهيارها من قديم الأزل . فإذا لم يكن القيم الروحية على درجة عالية من التماسك والاهتمام لدى المجتمع ، فإن الامكانات المادية قد تكون سبب وعامل في هلاك المجتمعات.

الهوامش:

1) السحمراني ، أسعد –مالك بن بني مفكر إصلاحي - دار النفاش بيروت ،ط2-186 ، ص143.

2) ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988، ص3-4.

3) صبحي ، أحمد محمود - في فلسفة التاريخ ، ط2، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، 1989- ص49.

4) فوكوياما – نهاية التاريخ وختام البشر – ترجمة – حسين أحمد أمين – ط1-دار الثقافة – القاهرة - 1992 ،ص10.

5) بيكون ،غايتان – ترجمة – لجنة من الأساتذة الجامعين ، آفاق الفكر المعاصر ، منشورات عويدات- الطبعة الأولي 1965، ص350 .

6) عبارة مقتبسة من هوراثيوس .

7) توينبي – مختصر لدراسة التاريخ –ج1 – فؤاد أحمد شبل – جامعة الدول العربية -1964 ، ص87- 88.

8) راجع ،صبحي ، أحمد محمود – مرجع سبق ذكره ،ص156.

9) كاناي .مدينة في جنوب إيطاليا انتصر فيها هنبال على الجيش الروماني عام 216 ق م.

10)توينبي – مرجع سبق ذكره ج1 - ص419.

11)كولنجرد ، ر،ج - فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل – لجنة التأليف والنشر والترجمة -1968 ،ص153.

12)مونتسكيو - روح الشرائع ، ترجمة ، عادل زعيتر ،-ج1 ،دار المعارف ، القاهرة ،1953، ص404.

13)مونتسكيو مفكر وفيلسوف وباحث سياسي ومن أهم كتبة روح القوانين والشرائع ويعتبر أول وضع مبداء الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية.

14)توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص94.

15)الاسقوديين ،نسبة إلى الإقليم الواقع شمال البحر الأسود، وبحر قزوين وبحر أورل .

16)ابن خلدون – المقدمة ،ص82.

17)ديورنت ، ول - قصة الحضارة ، ج 1 ، ترجمة ، زكي نجيب محمود ، دار المعارف القاهرة ،1972، ص 4.

18)توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص96.

19)لتوسير ، لوي – مونتسكو والسياسة والتاريخ – ترجمة – نادر ذكري ، دار التنوير ، بيروت -1981 ،ص54.

20)هيجل .ج.ف - محاضرات في فلسفة التاريخ ج1 ، ترجمة . أمام عبد الفتاح أمام – دار الثقافة – القاهرة . ب ت . ص 180.

21)خوري ، منح – التاريخ الحضاري عند توينبي – دار الملايين بيروت 1966،ص101.

22)تحرير –هيوج ، اتك . دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ،دار الملايين، بيروت 1963. ص123.

23)الجابري ، محمد عابد - فكر ابن خلدون (العصبية والدولة) ، دار النشر المغربية ، الطبعة الثانية- 1982، ص402.

24)المرجع السابق ص400.

25)جونسون ، أ،هـ ، فلسفة الحضارة عند ويتهيد ، ترجمة ، عبد الرحمن باعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1965، ص16.

26)المرجع السابق ، ص18.

27)بن نبي ، مالك – ميلاد مجتمع – ترجمة ، عبد الصبور شاهين – دار الفكر القاهرة ط3 -1986، ص27.

28)بن نبي ، مالك ، وجهة العالم الإسلامي - ترجمة ، عبد الصبور شاهين- دار الفكر – دمشق ط3 – إعادة 2000 ،ص169.

29)جونسون ، أ،هـ. مرجع سبق ذكره ،ص18.

30)راجع ، توينبي – مرجع سبق ذكره –ج1 ،ص239-240.

31)حلاق ، أحسان ، ملامح من تاريخ الحضارة ، الدار الجامعية ،1991، ص12.

32)رواس ،م ، ل - التاريخ أثره وفائدته ، ترجمة ، مجد الدين حنفي ، مؤسسة سجل العرب ،1968،ص25.

33)لتوسير ، لوي – مرجع سبق ذكره ،ص51.

34)راجع ، بن بني ، مالك – ميلاد مجتمع – مرجع سبق ذكره ،ص56.

35)المرجع السابق ،ص57.

36)مونتيسكو – مرجع سبق ذكره ،ج1 ، ص445.

37)صبحي ، أحمد محمود – مرجع سبق ذكره ، ص69.

38)ابن خلدون – المقدمة ، ص174.

39)عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ج1 (حضارة مصر والعراق) ، مكتبة الإنجلو – القاهرة ، الطبعة الثالثة ،، 1973،ص4.

40)تشايلد ، جوردون ، ترجمة ، جورج الحداد، ماذا حدث في التاريخ (دراسة لتطور الحضارة عند العصر الحجري حتى العصور القديمة) الشركة العربية للطباعة والنشر ، ب-ت ،ص119.

41)الهكسوس : ختلفت التسميات التي سموبها فقد عرفهم البعض بالاتريين أو الهند آريين وفي بلاد مابين النهرين عرفوا الكاسين وفي آسيا الصغر الخابيين تم الحيتين وفي سوريا الحوريين أو الخوريين وفي مصر حقاوخا سوف ثم حرف إلى الهكسوس " واتوا إلى مصر بسبب الهجرات من آسيا الوسطي تحت ضغط حروف طبيعية أو بشرية من أوائل ق 2ق م " نظر عبد العزيز صالح – الشرق الأدنى القديم 12 مصر والعراق ،ص187.

42)الناظوري ، رشيد - المدخل للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب شرق أسيا وشمال أفريقيا (الكتاب الأول) ، التشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث إلى نهاية الألف الثالث ق م ، دار النهضة العربية ، ب ت ، ص284.

43)راجع المرجع السابق صـــ 282 .

44)راجع مقدمة ابن خلدون ، صـــ 82 .

45)صالح عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم ، ج1 ، ص183.

46)الناظوري ، رشيد – مرجع سبق ذكره ص288 .

47)بورج ، وي – ثرات العالم القديم- ترجمة ، زكي سوس ، دار الكرنك ،1965.ص41.

48)حتى في فترة ما قبل توحيد الوجه القبلي والبحري كانت القيم الاجتماعية لسكان النيل واحدة.

49)عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ، ج1 ، حضارة مصر والعراق،ص385.

50)المرجع السابق ، ص 430.

المراجع:

1- ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988.

2- بن نبي ، مالك – ميلاد مجتمع – ترجمة ، عبد الصبور شاهين – دار الفكر – القاهرة ط3 - 1986.

3- ـــــــــــــ، وجهة العالم الإسلامي – ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر دمشق إعادة 2000.

4- بورج ، وي – ثرات العالم القديم- ترجمة ، زكي سوس ، دار الكرنك ، 1965.

5- بيكون ،غايتان – ترجمة – لجنة من الأساتذة الجامعين ، آفاق الفكر المعاصر ، منشورات عويدات ، ط 1، 1965.

6- تشايلد ، جوردون – ماذا حدث في التاريخ (دراسة لتطور الحضارة عند العصر الحجري حتى العصور القديمة) ترجمة جورج الحداد ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، بات.

7- الجابري ، محمد عابد ، فكر ابن خلدون (العصبية والدولة) دار النشر المغربية ،ط 2- 1982.

8- جونسون ، أ،هـ ، فلسفة الحضارة عند ويتهيد ، ترجمة عبد الرحمن باعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1965.

9- حلاق ، أحسان ، ملامح من تاريخ الحضارة ، الدار الجامعية ، ط 1-1991.

10- خوري ، منح – التاريخ الحضارة عند تويبي ، دار الملايين ، بيروت ،1966.

11- ديورنت ،ول قصة الحضارة ، ج 1 ، ترجمة زكي نجيب محمود ، دار المعارف القاهرة ،1972.

12- رواس ،م ، ل التاريخ أثره وفائدته ، ترجمة مجد الدين حنفي ، مؤسسة سجل العرب ،1968.

13-السحمراني ، اسعد مالك بن نبي مفكر إصلاحي ، دار النقاش ، بيروت ، ط 2،1986.

14- صالح ، عبد العزيز الشرق الأدنى القديم ، ج1 (حضارة مصر والعراق) مكتبة الإنجلو – القاهرة ، ط2 ، 1973.

15- صبحي ، أحمد محمود في فلسفة التاريخ ، منشورات جامعة قاريونس ، ط2، 1989.

16- صدقي ، عبدالحميد تفسير التاريخ ، ترجمة ، كاظم الجوادي ، دار الكويت للطباعة والنشر ، ب ت.

17- فيشر ، هـ.أ.ل تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ترجمة أحمد نجيب هاشم . وديع الصباغ ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط8.

18- كار ، ادوار ماهو التاريخ ، ترجمة ، ماهر كيال ، بيار عقل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط3 ، 1986.

19- كولنجرد ، ر،ج فكرة التاريخ ، ترجمة محمد خليل بكير ، جامعة الدول العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر) 1968.

20- مونتسكيو روح الشرائع ، ج1 ، ترجمة عادل زعيتر ، دار المعارف ، القاهرة، 1953.

21- لتوسير ، لوى ، مونتسكيو السياسة والتاريخ ، ترجمة نادردكرى ، دار التنوير ، بيروت 1981.

22- الناضوري ، رشيد المدخل للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب شرق أسيا وشمال أفريقيا (الكتاب الأول) دار النهضة العربية ، ب ت .

23- هورس ، جوزف قيمة التاريخ ، ترجمة الشيخ نسيب وهيبة الخازن مكتبة الحياة، بيروت ، ط1 ، 1964.

24- تحرير ، هيوج ، اتك دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1963.

25- هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ج1 (العقل في التاريخ) دار الثقافة ط 2، ب ت.

26- وايتهيد ، الفرد نورث مغامرات الأفكار ، ترجمة أنيس زكي حسن مكتبة الحياة ، بيروت ، ط2، 1966.

27- ويدجيري ، البان ج المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفشيوس إلى توينبي ، ترجمة دوفان قوقوط ، دار القلم ، بيروت ، ب ت.